غربة اللغة العربية ومصطلحاتها لدى طلاب التخصصات العلمية

إنعام خليل[1]،* و آمنة أيوب[2]

ملخص

يعرض هذا البحث تجربة تمتد إلى أكثر من عشر سنين وتتضمن محاولات للتقريب بين الطلاب والنصوص العلمية المكتوبة بلغتهم الأم من خلال التركيز على المواد الدراسية المقررة وذات الصلة بتخصص الباحث. أولى هذه المحاولات بدأت بتكليف طلاب من سنوات دراسية مختلفة بترجمة نص قصير ومتكامل من مادة دراسية مقررة يقوم الطالب بعدها بتقديم البحث شفويا ومناقشة مادته العلمية مع المدرس. وفي محاولة تالية تم توجيه عدد من طلاب السنة النهائية لإختيار موضوع لكل منهم من ضمن المقررات الدراسية شريطة أن يحتوي على مصطلحات علمية متخصصة، ثم يعد ملخصا للموضوع مع الاحتفاظ بالمصطلحات الواردة فيه، وبعد ذلك يترجم الملخص الذي أعده إلى اللغة العربية باستخدام ثلاثة معاجم متخصصة، فيتكون لديه ثلاثة نصوص مختلفة الترجمة . قام الطلاب بعد ذلك بإعداد نسخة النص باللغة الإنجليزية مرفقة بالنصوص المترجمة للعربية، ولقياس مدى الاستيعاب تم توجيه الطلبة لوضع أسئلة موضوعية حول المحتوى وإرفاقها بالنصوص المعدة وتم توزيعها على عدد من الطلبة لقراءتها والإجابة على الأسئلة المرفقة، ومن ثم تم تقييم إجابات الطلاب على النماذج المختلفة. في مرحلة لاحقة تم تعديل هذه المحاولة باعتماد معجم واحد لترجمة المصطلحات وبالتالي إنتاج نص واحد باللغة العربية مقابل النص باللغة الإنجليزية .

رغم أن العينات في المحاولات المختلفة كانت صغيرة, إلا أن تكرار هذه المحاولات مكننا من الوصول إلى بعض النتائج والتي أهمها- حسب وجهة نظر الباحث- هو ضعف نسبة غير قليلة من الطلبة في لغتهم العربية وعدم قدرتهم على إنشاء وصياغة جمل مفيدة. ومن هنا كانت المصطلحات باللغة العربية تبدو غريبة للطالب وبعضها لا يعني له شيئا.

[1]،*: الباحث الرئيس: كلية الصيدلة, الجامعة الأردنية, بريد إلكتروني ekayoub@ju.edu.jo

[2] باحث مشارك: مدرسة لغة عربية، مكتبية, بريد إلكتروني ayoubamenah@hotmail.com

المقدمة

تعاني اللغة العربية كثيرا من الغربة والتهميش بين أبنائها في مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلمية والفكرية، ففي مجال الحياة اليومية تراجع استخدام اللغة العربية خاصة بين الفئات الشبابية وبعض المنبهرين بالثقافات الأجنبية لصالح اللغات الأجنبية سواء في التخاطب والمحادثة، أو في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، أو في الأسماء لتجارية، وما شابه. أما في المناحي العلمية والفكرية فلعل أبرز مظاهر غربة اللغة العربية تتجلى في عدم استخدامها في التدريس في معظم الجامعات ومؤسسات التعليم العالي العربية، حيث التدريس باللغات الأجنبية، إذا ما استثنينا سوريا والسودان، وتدريس بعض المواد باللغة العربية في بعض الجامعات، كما أن لغة الحوار أصبحت في المحافل العلمية العربية اللغة الأجنبية (1).

أهمية اللغة العربية والتدريس بها

ليس أبلغ من الدلالة على أهمية اللغة العربية من أنها اللغة التي نزل بها القرآن الكريم، واللغة التي وصلت بها إلينا السنة النبوية الشريفة، كما أنها أداة التواصل الاجتماعي بين الأفراد وأهم ثوابت الهوية الوطنية للأمة، والحصن المنيع الذي تحتمي به في مواجهة أية محاولات لطمس هويتها وتمييعها. كما أن الاهتمام باللغة القومية لأية أمة يولّد لدى الأفراد الإعتزاز بالإنتماء الحضاري للأمة وبالتالي يساعد في نهوضها. ولأن اللغة هي وعاء الفكر والوجدان وأداة التعبير عنه فإن تدريس العلوم باللغة العربية يؤدي إلى انتشار المعرفة وتيسير سبل الحصول عليها نتيجة للإقبال على تأليف وترجمة الكتب الدراسية العلمية. كما يؤدي إلى التأسيس لظهور وترسيخ حركة البحث العلمي الجادّ مما يساهم في بناء جيل من المبدعين والمبتكرين في الدول العربية، لأن الإبداع عادة يتمّ في اللغة القومية. ولأهمية التدريس باللغة العربية فقد نصت التوصية الثالثة لمؤتمر التعريب السابع- المنعقد في الخرطوم عام 1994- في جزء منها على (إلزام جميع الهيئات التعليمية من جامعات ومعاهد عليا وسواها باستعمال اللغة العربية تأليفا وبحثا وتدريسا في جميع المراحل). كما صدرت توصيات مماثلة في ختام أعمال الندوات والمؤتمرات والمواسم الثقافية لمجامع اللغة العربية التي عقدت على امتداد الوطن العربي بدءا من مؤتمر بغداد عام 1978، وأصدرت بعض الحكومات العربية قوانين تدعو الجامعات إلى اعتماد اللغة العربية في التدريس لمختلف المواد (2). وقد أثبتت بعض الدراسات أن قدرة الدارسين في الكليات العلمية على استيعاب النص باللغة العربية أفضل بنسبة (15%) من استيعابهم إياه باللغة الإنجليزية. كما أظهرت نتائج عدد من الدراسات (وجود علاقة إيجابية في الاستيعاب والأداء لدى الدارسين باللغة الأم في المجالات الطبية والعلمية الأخرى مقارنة مع الدارسين بلغة أجنبية ولا سيما الإنجليزية) (3).

تعريب التعليم العلمي قي الجامعات العربية

بدأت أولى تجارب تدريس المواد العلمية في الجامعات العربية منذ تأسيس أول كلية طب أنشئت في مصر في عهد محمد علي باشا عام 1826، ولكنهذه التجربة توقفت عام 1887 نتيجة الضغوط السياسية من المحتلين، بعد أن كانت حركة التعريب قد سارت بخطى ثابتة، وألف عدد من العلماء في مجال العلوم المختلفة (2) . وفي لبنان بدأت كل من الكلية السورية الإنجيلية - التي عرفت فيما بعد بالجامعة الأمريكية - منذ افتتاحها في بيروت عام 1866، و جامعة القديس يوسف في بيروت عام 1882 بتدريس جميع العلوم بالعربية، ولكن بحجة عدم توفر الأساتذة المتمكنين من تعليم علوم الطب بالعربية، فقد تحولت لغة التعليم عام 1884 إلى الإنكليزية في الكلية الأولى، وإلى الفرنسية في الثانية. وعلى الرغم من ذلك فقد تم تأليف وترجمة عدد الكتب الطبية استعملت فيها مصطلحات الطب العربي الإسلامي (4). و هناك تجارب متعددة المستويات لتدريس المواد العلمية باللغة العربية على امتداد الوطن العربي، منها ما ثبت نجاحه كما في الجامعات السورية حيث بدأ التعريب في عام 1919 في مدرسة الطب بدمشق (4). مما نجم عنه حركة نشطة في مجال ترجمة المصادر العلمية، وتصنيف المصطلحات ، وتأهيل الأساتذة في مجال التعريب، وبالتالي تأليف المصادر العلمية التي تعتمدها بعض الجامعات اليوم (3).

وفي السودان بدأ تعريب التعليم في الكليات العلمية عام 1990، وقد دلت نتائج تقييم التجربة على أنها تجربة ناجحة بشكل عام . وتميز منهج تطبيق التعريب قي السودان بالتدريج في التطبيق، واستخدام اللغة العربية الفصحى الميسرة في التدريس، مع الإبقاء على الرموز العلمية على أشكالها في اللغات الأجنبية في بداية المرحلة. ومن التجارب التي كانت بداياتها مبشرة ولكنها توقفت تجربة الجامعه الأردنية، إذ بدأ تعريب التعليم في كلية العلوم في أواخر السبعينات حيث تمت ترجمة بعض الكتب العلمية وتم اعتمادها في التعليم الجامعي 1980- 1981. إلا أن التجربة توقفت بعد سنة باستثناء بعض المواد التي تدرس بالعربية في بعض الكليات العلمية، على الرغم من أن نتائج تقييمها دلت على ارتفاع العلامات الجيدة إلى 75% و تدني نسبة الرسوب إلى 4% (5). وفي حالات أخري كان التعريب بجهود فردية لبعض أساتذة الجامعات كما في التجربة التونسية، فبالرغم من أن التوجه لتعريب التعليم الجامعي بدأ عام 1976 لكنه لم يصل للكليات العلمية، إلا أن أستاذ علم التشريح في كلية طب صفاقس - الدكتور أحمد ذياب - قام بتدريس مادته باللغة العربية، وألف كتبا وأطالس ثلاثية اللغة فيها، ولاقت تجربته قبولا وحماسا من الطلاب، ولكن إدارة الجامعة قاومت هذا التوجه بشدة اضطرته إلى ترك التعليم في الجامعة (4) وهناك محاولات محدودة لتعليم العلوم والطب بالعربية كما في ليبيا، دلت نتائجها

على أن الطلاب أصبحوا يستوعبون المحاضرات أفضل حسب ما جاء في بحث الدكتور نوفل الأحمد حول تجربة الجامعات الليبية (2). وفي اليمن تدرس بعض العلوم باللغة العربية .

معوقات التدريس باللغة العربية

لعل أهم معوقات تعريب التعليم الجامعي حسب ما جاء في أدبيات الموضوع التي اطلع عليها الباحث تتمثل في:

- ضعف إيمان المؤسسات العلمية العربية بأهمية وضرورة التعريب، مع عدم وجود قانون يلزم هذه المؤسسات بضرورة تنفيذ قرارات التعريب ، و محاربة بعض المسئولين وذوي المناصب الإدارية العليا في بعض الجامعات للجهود الفردية التي يقوم بها المدرسون في مجال تعريب التعليم الجامعي.

1- ندرة الكتب العلمية باللغة العربية سواء المترجمة أم المؤلفة المواكبة للتطورات العلمية الحديثة، لأسباب تتعلق بالمؤلفين والمترجمين من ناحية، وبإنتاج ونشر وتوزيع الكتب العلمية من ناحية أخرى.

2- عدم توفر معاجم المصطلحات العلميه الحديثة، وعدم توحيد المصطلح وضعف الاستفادة من التراث العلمي العربي المخطوط في البحث عن المصطلحات العلمية و توظيفها في التأليف.

3- اعتقاد البعض بأن الأساتذة الذين يدَ رسون باللغة العربية غير قادرين على استخدام اللغة الإنجليزية في تدريس موادهم العلمية.

4- نظرة البعض إلى المعرّبين من المؤلفين أن هدفهم هو الربح المادي.

5- عدم وجود مردود معنوي أو مادي يتناسب مع الجهد المبذول في التعريب تأليفا وترجمة.

6- عدم توفر الوقت الكافي للمدرسين للمساهمة في عملية التعريب تأليفا وترجمة نتيجة للأعباء التدريسية التي يقومون بها، والتي تحد من مساهمتهم في التعريب بشكل أفضل.

7- اعتماد بعض أعضاء هيئات التدريس – ممن تلقوا علومهم بغير اللغة الإنجليزية - في مصادرهم العلمية على لغات عدة غير الإنجليزية، مع قلة إتقان بعضهم للغة العربية .

8- ضعف تمويل عملية تعريب العلوم (1،5،6).

التجربة

نقدم فيما يلي تجربة أستاذ جامعي من خلال محاولات مختلفة هدفها جعل المصطلحات العلمية العربية مألوفة لدى طلاب أحد التخصصات العلمية-الطبية. هذه المحاولات نتجت عن بعض المشاهدات التي تراكمت

لدى معد البحث خلال قيامه بتدريس مواد أساسية يدرسها طلاب تخصص الصيدلة خلال السنوات الثلاث الأولى لالتحاقهم بالجامعة. من أهم هذه المشاهدات تدني تحصيل بعض الطلاب من الفئة - فوق متوسطة الأداء- في امتحانات أعمال السنة، رغم المواظبة على حضور المحاضرات والمشاركة الفاعلة خلالها. عند مناقشة إجابات الإمتحان، يكتشف الطالب، أن بعض المفاهيم لديه لم تكن صحيحة لذلك لم يستطع التعبير عنها خلال إجابته بشكل صحيح. وهذه الظاهرة تشمل جميع الطلاب بغض النظر عن مستوى المدارس التي قدموا منها مما يشير إلى أن إجادة اللغة الإنجليزية ليس كافيا لاستيعاب العلوم التي يتلقاها الطالب باستخدام هذه اللغة ومصطلحاتها. معروف لدى طلاب الجامعات التي تعتمد اللغة الإنجليزية في التدريس أن حاجز اللغة يتضاءل ويسقط أحيانا مع نهاية السنة الأولى في الجامعة. ولكن إتقان خريجي الجامعات للغة الإنجليزية لا يرافقه بالضرورة إتقان للعلوم التي تلقوها بهذه اللغة. من هنا نرى أن للمصطلحات الخاصة بكل علم دورا كبيرا في ترسيخ أسس هذا العلم في ذهن الدارس.

هدف التجربة

تهدف التجربة إلى:

1. تعريف الطالب على المعاجم العلمية المتخصصة وحثه على إستخدامها.
2. تكليف الطالب بمهمة بحثية يدرك من خلالها أهمية تعريب التعليم.
3. خلال تنفيذ الدراسة، تتم توعية شريحة واسعة من الطلاب بموضوع التعريب.

وصف التجربة

تتكون التجربة من جزئين. الجزء الأول قام به مجموعة من الطلاب من مستوى السنة الخامسة في كلية الصيدلة، والجزء الثاني قام به المدرس معد البحث. وتمت التجربة على مرحلتين: تحضير النصوص و إجراء التجربة.

ا. تحضير النصوص:

1. يقوم الطالب الباحث، من مستوى السنة الخامسة، بإختيار موضوع من المواد التي يدرسها في القسم الذي ينتمي إليه معد البحث.

2. يحدد الطالب المصطلحات المتخصصة الموجودة في النص الذي اختاره. يجب أن يحتوي النص على 7-10 مصطلحات.
3. يبحث الطالب في ثلاثة معاجم متخصصة أحدها المعجم الطبي الموحد عن المرادف باللغة العربية للمصطلحات الواردة في النص.
4. يقوم الطالب بترجمة النص إلى اللغة العربية. الترجمة هنا تكون بعد اختصار النص أو بدون اختصار.
5. يتم تدقيق النص المترجم من حيث سلامة وسلاسة اللغة.
6. يقوم الطالب بتحضير 4-6 أسئلة موضوعية حول المفاهيم الأساسية الواردة في النص. يجب أن يتضمن السؤال أو الإجابة مصطلحا واحدا على الأقل من المصطلحات الواردة في النص.
7. يجهز الطالب نسخا من النص والأسئلة باللغة العربية لتوزيعها على مجموعة من عينة التجربة.
8. يجهز الطالب نسخا من النص والأسئلة باللغة الإنجليزية لتوزيعها على مجموعة أخرى من عينة التجربة.
9. يترك لتقدير الطالب تحديد الوقت الكافي لاستيعاب النص وإجابة الأسئلة من قبل أفراد العينة.

ب. إجراء التجربة:

يشترط في عينة التجربة أن تكون من طلبة كلية الصيدلة وممن درسوا الموضوع العام الذي ينتمي إليه النص. يقوم كل طالب باحث بتوزيع النسخ على عينة التجربة بحيث يأخذ الطالب نسخة باللغة العربية أو نسخة باللغة الإنجليزية ويعيدها بعد إجابة الأسئلة خلال الوقت المحدد ودون أن يسمح له بتوجيه أي استفسار أو مناقشة. بعد استعادة الأوراق، يقوم الطالب الباحث برصد نسبة مئوية لكل ورقة تتناسب طرديا مع عدد الإجابات الصحيحة فيها.

في الجزء الثاني والذي قام به المدرس اتبعت نفس الخطوات 1-9 الواردة أعلاه مع اختلاف في بعض التفاصيل إذ تم تحضير النصوص من قبل طلبة الماجستير في الكلية حيث اختار الطلاب نصوصا من المواد الأساسية التي يدرسها طلاب البكالوريوس، وقاموا بترجمتها إلى العربية باستخدام القاموس الطبي الموحد. بعد ذلك قام المدرس معد البحث باختيار نصين من هذه النصوص لأجراء التجربة على طلاب يقوم بتدريسهم من سنتين مختلفتين.

النتائج ومناقشتها

يمكن تلخيص النتائج التي توصل إليها الباحث خلال مراحل هذه االتجربة بالآتي:

1. إن عدم اعتماد اللغة العربية في التدريس الجامعي، بالإضافة إلى أسباب أخرى أهمها عزوف معظم الطلاب عن القراءة بشكل عام أدى إلى زيادة ضعف الطلاب في اللغة العربية. وفي محاولة الباحث للتغلب على هذه المشكلة فقد دأب منذ سنوات طويلة على توجيه الطلاب إلى نشاطات لا منهجية تتضمن ترجمة نصوص علمية بما فيها من مصطلحات متخصصة إلى اللغة العربية وكانت النصوص الأولية للترجمة التي قدمها معظم الطلاب عبر السنوات ذات مستوى متدني في الصياغة اللغوية ولا يمكن فهم محتواها إلا بعد التعديل.

2. الضعف في اللغة العربية لا نستطيع تعميمه على جميع الطلبة. الترجمة التي قام بها طلبة الماجستير كانت جيدة جدا بالمقارنة مع طلبة السنة الخامسة. ربما تصبح هذه الملاحظة مقبولة ومنطقية إذا علمنا أن من قام بالترجمة من طلاب السنة الخامسة هم عينة عشوائية تختلف في مستوى تحصيلها الأكاديمي بينما طلبة الماجستير هم في العادة من أفضل الطلاب أكاديميا.

3. الشكل (1) يوضح نتائج التجارب التي قام بها كل من الطلاب، وعددها سبع تجارب، والمدرس، وعددها تجربتان.

أ- يظهر الشكل تشابها بين تحصيل الطلاب عند إجابة أسئلة النصين العربي والإنجليزي. التحليل الإحصائي والذي تم بمقارنة متوسط العلامات للنصين العربي والإنجليزي أظهر عدم وجود فوارق ذات مغزى بينهما.

ب- بالرغم من اختلاف النصوص موضوع التجربة واختلاف المستوى الدراسي لعينات التجربة من الطلاب، فإن النتيجة واحدة وهي استيعاب متكافيء للنصين. رغم أن معظم النصوص المترجمة موضوع البحث تحتوي على مصطلحات يراها الطالب للمرة الأولى مقابل المصطلحات الإنجليزية التي اعتاد علي سماعها واستخدامها منذ التحاقه بالكلية. من هنا نستنتج أن المصطلح العربي، وإن بدى غريبا للوهلة الأولى، إلا أن الطالب يستطيع أن يدرك معناه من خلال سياق النص .

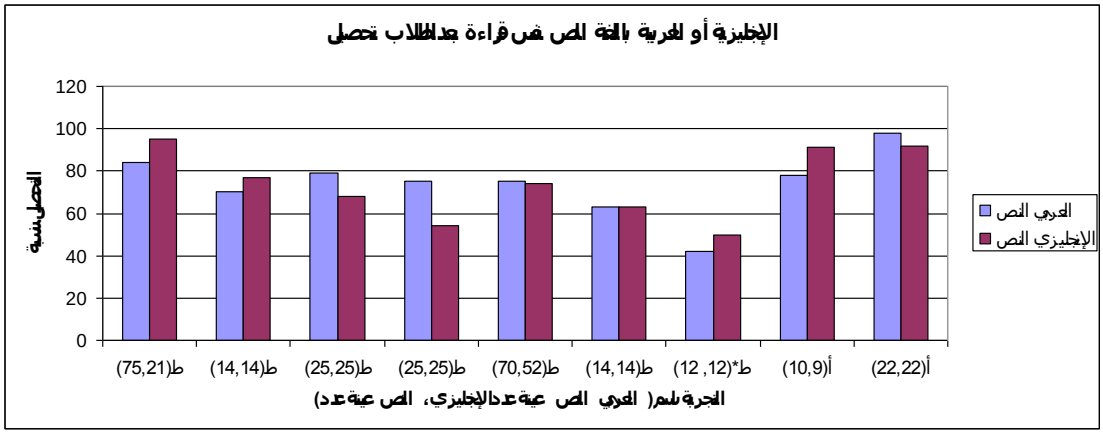

شكل 1: مقارنة بين تحصيل الطلاب عند إجابة أسئلة بعد قراءة النص باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية. الأحرف تشير إلى أن التجربة نفذها الطالب (ط) أو الأستاذ (أ). الإشارة * وضعت على التجربة التي استخدمت نفس العينة من الطلاب.

ج- في واحدة من تجارب الطلاب كان معدل تحصيل أفراد العينة الذين أجابوا على أسئلة النص العربي 75% مقابل 54% للنص الإنجليزي، وكان هذا أكبر فرق بين التحصيلين نراه خلال هذه التجربة. المادة موضوع النص في هذه التجربة كانت تحتوي على مصطلحات متخصصة متشابهة والفروق بينها دقيقة، وعندما احتاج النص إلى تركيز شديد لاستيعابه، كان استيعاب النص العربي أفضل من الإنجليزي رغم صعوبة المصطلحات باللغتين.

د- في تجربة أخرى، خالفت الطالبة الباحثة طريقة التجربة وقامت بإعطاء نفس العينة من الطلاب النصين العربي والإنجليزي معا مما أتاح للطلاب الاستعانة بأحد النصين على فهم الآخر، ومع ذلك كان الفرق بين التحصيلين ضئيلا. هنا لم يكن استيعاب النص العربي أفضل، وأيضا لم تسعف الطالب معرفته للمصطلحات الإنجليزية.

النتائج والملاحظات المذكورة أعلاه تؤكد أهمية التدريس باللغة العربية واستخدام المصطلحات العلمية العربية. شريطة أن يتم اعتمادها بالتعاون بين علماء اللغة والمختصين في العلوم المختلفة، لتكون عونا لطالب العلم الذي سيألفها وتصبح لديه ذات دلالة وليس مجرد لفظ مستهجن كما هي الآن.

4. عند عرض الموضوع على الطلاب المكلفين بإجراء التجربة قبل البدء بها، لم يدركوا أهمية التدريس باللغة العربية خصوصا في المرحلة المتقدمة التي وصلوا إليها، ولكن الصورة تغيرت تماما عند إتمام التجربة مما يعني أن هذه التجربة ساهمت في جعل الطلاب، سواء المكلفين بإجراء التجربة او عينات الدراسة، طرفا فاعلا حيث بادروا بتقديم مقترحاتهم وآرائهم حول أهمية التدريس باللغة العربية منذ السنوات الأولى مع ألأخذ بعين الاعتبار أن لا يؤثر ذلك على إتقانهم للمصطلحات باللغة الإنجليزية.

الخلاصة

من كل ما تقدم تؤكد نتائج هذه التجربة الحقيقة الثابتة والمعروفة للجميع : يجب أن ندرس وندرس العلوم بلغتنا حتى نفهمها ونتقنها ونطبقها. وفي نفس الوقت وعلى نفس المستوى من الأهمية يجب أن يتعلم الطالب المصطلح الإنجليزي مع المصطلح العربي حتى لا يفقد اتصاله مع الأبحاث المنشورة حديثا في مجالات العلوم المختلفة.

شكر

تتقدم معد البحث بالشكر لطلاب كلية الصيدلة في الجامعة الأردنية الذين ساهموا في إعداد وإجراء التجربة.

المراجع

1. **خريوش ، عبد الرؤوف**- تعريب التعليم الجامعي وأهم المشاكل التي تواجهه **(1997)**. متاح على الموقع http://knol.google.com/k بتاريخ 2011\12\22

2. **محجوب، عباس** – التعليم باللغة العربية في التعليم الجامعي. متاح على الموقع www.dahsha.com|old\viewarticle.php?id=28917 بتاريخ2011\9\21

3. **جروان ، فتحي عبد الرحمن**- التعليم الجامعي بغير اللغة العربية وأثره قي الإستيعاب والإبداع ، ورقة مقدمة للموسم الثقافي التاسع والعشرين لمجمع اللغة العربية الأردني (اللغة العربية ووحدة الأمة). 22-23 تشرين الثاني **2011**.

4. **الهلالي، صادق** – التجربة العربية في تعريب العلوم وعلوم الطب.

متاح على شبكة صوت العروبة بتاريخ 2011\12\14

5. **الحاج ، حميد أحمد** - تعريب التعليم الجامعي (الجامعة الأردنية **نموذجاً**) الموسم السابع والعشرين لمجمع اللغة العربية 27-29 تشرين الأول **2009** . متاح على الموقع

http:\www.majma,org.jo\majma\index.php\m29.htmt بتاريخ 2011\11\23

6. **آل عبد الرحمن، خالد بن عبد الغفار**، تعريب التعليم الطبي: رؤية واقعية وخطوات عملية.

متاح على الموقع

http://www.imamu.edu.sa/support_deanery/medical_center/research/Pages/medicen_in_aribic_lau.aspx بتاريخ 2011\12\18.